بخصوص تسمية "موريتانيا"

ترجمة وتحقيق وثيقة فرنسية مؤلفة سنة 1843

محمدو بن محمدن
قسم التاريخ/كلية الآداب
جامعة نواكشوط

تضمنت التسميات التي اشتهرت بها البلاد الموريتانية الحالية (موريتانيا) عبر الفترات الماضية، على اصطلاحات جزئية ومؤقتة أطلقت على هذه الرقعة أو تلك خلال فترة أو أخرى دون أن تعرف هذه البلاد اسما جامعا عاما.

ولعل أبرز التسميات التي عرفتها هذه المنطقة خلال الفترة الوسيطة (حسب التحقيب الأوربي) تسمية "صحراء الملثمين"[1].

وقد يعود تداول المؤلفين العرب[2] لهذه التسمية خلال تلك الفترة إلى سيطرة هؤلاء الملثمين اقتصاديا وسياسيا على الصحراء، إذ يعد طبيعيا أن تنسب إليهم مناطق نفوذهم، وهي المناطق التي يضيفها إليهم ابن خلدون[3] مثلا حين يقول: "كان هؤلاء الملثمون في صحاريهم كما قلناه".

وقد لا يشمل مصطلح "صحراء الملثمين" بالضرورة المنطقة السودانية وخصوصا أجزاءها الجنوبية والجنوبية الغربية المحاذية لنهر السنغال لأنها ليست منطقة صحراوية ولأن سكانها ليسوا كلهم من الملثمين.

أما تسمية "بلاد التكرور" التي دأب مؤرخو التكتو[4] وبعض كتاب غيرهم في ولاته[5] على استخدامها فقد لا تغطي -أيضا- كل المنطقة وخاصة أجزاءها الشمالية والشمالية الغربية.

وربما تكون تسمية "بلاد شنقيط" التي أطلقها المشارقة على هذا الإقليم، منذ القرن 8هـ، وبقيت ردحا من الزمن علما عليه، من أكثر التسميات شمولية رغم أنها "من باب تسمية الشيء باسم بعضه"[6]، فجراء الأدوار البارزة التي لعبتها مدينة شنقيط الواقعة بشمال البلاد، وباعتبارها منطلقا لركب الحجيج الشنقيطي إلى الديار المقدسة فقد عرفت هذه البلاد باسم تلك المدينة (شنقيط) فترة من الزمن.

ومن ضمن التسميات المحلية التي أطلقت على هذا الإقليم، يمكن أن نذكر "بلاد السائبة" أو "بلاد الفترة"[7] إشارة إلى غياب السلطة المركزية وانتشار الفوضى في هذه الأصقاع، و"بلاد المغافرة"[8] نسبة إلى القبائل المغفرية[9] التي بسطت نفوذها على هذه المنطقة منذ أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

الميلادي، و"الملكب البرزخي"[18] دلالة على توسط هذه البلاد بين المجتمعات ذات التنظيم المركزي شمال وجنوب الصحراء.

أما الفرنسيون فقد أطلقوا، ومنذ القرن السابع عشر، تسمية "بلاد البيضان"[11] (Pays des Maures) على الرقعة الواقعة شمال نهر السنغال والتي تقطنها مجموعات من القبائل البيضانية. وهي تسمية تدل عموما، عند من استخدمها من الفرنسيين[12] على الحيز الجغرافي الممتد من نهر السنغال جنوبا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جنوب الجزائر والمغرب شمالا إلى نهر النيجر شرقا، أي أنها منطقة تتطابق تاريخيا مع المجال البيضاني المتسع[13] الذي يتجاوز الحدود الحالية للجمهورية الإسلامية الموريتانية.

ومع مرور الزمن، شاع استخدام هذه التسمية في مختلف الوثائق الفرنسية المتعلقة بالمنطقة، فظهرت في الاتفاقيات[14] الموقعة بين الفرنسيين وزعماء القبائل والإمارات البيضانية[15] وفي تقارير الولاة والإداريين[16]. كما شاع استخدامها في المراسلات[17] وتداولها الرحالون والمستكشفون[18].

ولم يقتصر استخدام تسمية "بلاد البيضان" على الفرنسيين الذين زاروا هذه الأرض، بل إن بعض الفرنسيين[19] ممن لم تطأها أقدامهم، وإنما دخلوا في علاقات معها، وهم في السنغال، قد أطلقوا -بدورهم- على هذه البلاد التسمية نفسها.

وشيئا فشيئا أخذت تسمية بلاد البيضان (Pays des Maures) صبغة المصطلح على هذه المنطقة، فكانت التسمية الأكثر شيوعا في مختلف الأدبيات الفرنسية. فمن يتصفح الوثائق الفرنسية المتعلقة بتاريخ المنطقة[20]، وخاصة الرحلات الاستكشافية، يجدها مطردة الاستعمال للدلالة على المجال البيضاني كله أو على البلاد الموريتانية بشكل خاص.

وقد أدرك الفرنسيون[21] أن هذا المجال البيضاني الواسع ينقسم إلى مجالات اجتماعية وسياسية أقل اتساعا أطلقوا عليها تسميات تخصيصية ترتبط في بعض الأحيان بالموقع الجغرافي كـ"بلاد بيضان أدرار" (Pays des Maures de l'Adrar) أو مثل "بلاد بيضان تكانت" (Pays des Maures du Tagant) وأحيانا بالانتماء البشري مثل "بلاد بيضان الترارزه" (Pays des Maures Trarza) أو مثل "بلاد بيضان البراكنه" (Pays des Maures Brakna) أو مثل "بلاد بيضان إدوعيش" (Pays des Maures Idaouich). وكانت التسمية أحيانا أخرى مرتبطة بالنظام السياسي (الأميري) كإمارة الترارزه (Emirat des Trarza)،

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

أو إمارة البراكنة (l'émirat des Brakna)، أو إمارة الترارزة (l'émirat de l'Adrar) أو إمارة إدوعيش (l'émirat des Idaouich).

وقد عرف بعض الفرنسيين[22] هذه الرقعة كذلك تحت اسم بلاد بيضان الصحراء (Pays des Maures du Sahara)، وهي تسمية تحيل على المجال الجغرافي الصحراوي الواسع الذي يتنقل فيه هؤلاء السكان البيضان جيئة وذهابا.

ونظرا للعلاقات التي ربطت البلاد البيضانية خلال القرون الماضية مع السنغال فإن بعض الفرنسيين[23] سماها "بلاد بيضان السنغال"، وهي تسمية قد تحمل في طياتها بعدا استعماريا، إذ تعرف البلاد انطلاقا من صلاتها بالإدارة الاستعمارية في السنغال، ذلك أن تسميات مثل "السنغال" و"مستعمرة السنغال" و"الفرنسيين في السنغال" و"فرنسا" قد تداخلت وترادفت عند بعض كتاب القرن التاسع عشر الفرنسيين[24] ممن اهتموا بالمنطقة.

وبالإضافة إلى تلك التسميات، فقد ظهرت -ولو بدرجة محدودة- تسمية أخرى تربط المنطقة بجيرانها الشرقيين، وهي تسمية "بلاد بيضان السودان"[25] (Pays des Maures du Soudan).

أما إطلاق تسمية "موريتانيا" على هذا الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء فليس من ابتكار الفرنسي كزافيي كوبولاني[26](X. Coppolani)، كما هو الشائع لدى المهتمين بتاريخ الفكرة الاستعمارية في موريتانيا. فقد أطلق الضابط جان-فرانصوا كاي[27].(Jean-François Caille) تلك التسمية على هذه المنطقة سنة 1843، وذلك قبل أن يتبناها كوبولاني بأزيد من نصف قرن من الزمن، أي في نهاية القرن الماضي ومطلع الحالي عندما بدأت الوثائق الإدارية الفرنسية تحمل اسم "موريتانيا الغربية" (Mauritanie occidentale) إلى جانب ترجمتها باللغة العربية (تراب البيضان). وتمتد هذه البلاد -حسب كوبولاني- من نهر السنغال جنوبا والمناطق الواقعة بين خاي[28] وتيشيت شرقا إلى رأس جيبي[29] غربا وحتى جنوب الجزائر شمالا[30].

ورغم أن تسمية هذه المنطقة بموريتانيا (la Mauritanie) قد ظهرت لأول مرة، كما أسلفنا، سنة 1843 على يد الضابط كاي حينما سمى سكان المنطقة الواقعة شمال نهر السنغال، "شعب موريتانيا" فإنها لن تأخذ صيغتها الإدارية الرسمية إلا في دجنبر/كانون الأول سنة 1899[31] مع الإداري الفرنسي كوبولاني.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ومع أن مقدم مشاة البحرية كاي لم يصرح علنا بحدود ولا بمضمون الرقعة الجغرافية التي سماها "موريتانيا" (Maurétanie) بخلاف ما فعل كوبولاني، فإن محتوى تقريره الذي سنتناوله بعد حين يشير ضمنيا إلى هذا الامتداد. فهذه البلاد تشمل عنده الترارزه والبراكنه وإدوعيش (تكنت) وأولاد ابيرك (الحوض) والصحراء..إلخ.. وهي المناطق التي تشكل مجتمعة الإقليم الموريتاني الحالي.

وقد ارتأينا تعريب هذا التقرير وتحقيقه لما يكتسيه من أهمية، إذ يعتبر أول إشارة عثر عليها حتى الآن إلى تسمية هذه المنطقة بموريتانيا، تلك التسمية التي ستنتظر أكثر من نصف قرن لترى النور رسميا مع كوبولاني، قبل أن تتخذ طابعها الأكثر رسمية سنة 1960 غداة استقلال البلاد.

وقبل تقديم هذا النص معربا ومحققا فإن نبذة عن مؤلفه قد تساعد على فهمه ووضعه في سياقه العام.

صاحب النص

ولد جان-فرانسوا كاي[32](Jean-François Caille) سنة 1799 والتحق بجنود مشاة البحرية متطوعا سنة 1813 ولما يبلغ الرابعة عشرة من العمر ليصبح رقيبا بالكتيبة المتجهة إلى مستعمرة السنغال التي أبحر إليها سنة 1816 على متن سفينة لامدوز (la Méduse) التي غرقت في يوليو/تموز من السنة نفسها بالسواحل الموريتانية مخلفة مأساة كبيرة[33]. غير أن الحظ حالف هذا الجندي الشاب فكان من جملة الناجين من كارثة تحطم تلك السفينة.

وفي سنة 1822 عاد كاي إلى فرنسا ليحول إلى مشاة البحرية، ثم يحصل سنة 1826 على رتبة ملازم ويعود، من جديد، إلى السنغال حيث سيخدم بشكل متواصل حتى سنة 1828 فيرقى سنة 1830 إلى رتبة ملازم أول.

وفي سنة 1831 ينخرط الملازم الأول كاي في مشاة البحرية ليصبح نقيبا سنة 1832، ثم يكلف بمصلحة محطات التبادل التجاري على نهر السنغال ورئاسة لجنة الاستكشافات فضلا عن قيادة الفيلق الثالث لمشاة البحرية بالسنغال.

وبين شهري دجمبر/كانون الأول 1839 وفبراير/شباط 1840 قام كاي برحلة استكشافية قادته إلى محطات التبادل النهرية ومكنته من جمع بعض

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

المعلومات عن سكان المنطقة وأنشطتهم الاقتصادية وحياتهم الاجتماعية والسياسية والثقافية مما منحه ثقة الوالي الفرنسي على السنغال الذي عينه سنة 1840 ملحقا بديوانه مع الاحتفاظ بوظائفه السابقة.

وقد استفاد النقيب كاي من شغل تلك الوظائف في ربط علاقات مع السكان البيضان من حسان وزوايا في المنطقة نجد أصداءها في وثائق المراسلات المحفوظة بالأرشيف الوطني السنغالي[34]. وقد انتقينا منها نموذجين لم ينشرا بعد سنلحقهما بهذا البحث.

وفي سنة 1842 حصل كاي على رتبة رائد قبل أن يكلف بإدارة مكتب الشؤون الخارجية بمستعمرة السنغال. وفي سنة 1846 يصبح كاي مقدما ويتولى لبضع ساعات فقط منصب الوالي الفرنسي على السنغال وكالة، وذلك أثناء مراسيم تنصيب الوالي الفرنسي الجديد بوردون كرامون (Bourdon-Gramont) سنة 1846.

وفي سنة 1847 تولى هذا الضابط من جديد، منصب الوالي الفرنسي على السنغال وكالة إثر وفاة الوالي المعين. وبعد بضعة أيام من شغله لهذا المنصب توفي المقدم كاي في جزيرة كوري[35](Gorée) السنغالية إثر إصابته بحمى الملاريا وذلك عن عمر يناهز ثمانا وأربعين سنة.

وقد حصل كاي على وسام الشرف الاستحقاقي وخلف ثلاثة آثار أولها وثيقة ما تزال مخطوطة، وهي محفوظة ضمن ملفه الخاص بمركز أرشيف ما وراء البحار في مدينة أكس-أن-بروفانس (Aix-en-Provence) الفرنسية وعنوانها "رحلة استكشافية بالسنغال (ديسمبر/كانون الأول 1839-فبراير/شباط 1840)"[36]، وثانيها هو النص الذي يسعى هذا البحث إلى تعريبه وتحقيقه. وقد نشر تحت عنوان "ملاحظات حول سكان موريتانيا وسكان بلاد الزنوج المتاخمين لنهر السنغال"[37]. أما ثالث آثار المقدم كاي فهو نص تم نشره سنة 1851 بعنوان "جدول إحصائي حول نهر السنغال"[38] نأمل أن نعود إليه في مناسبة أخرى.

تقديم النص

تتكون هذه الوثيقة من عشر صفحات من الحجم المتوسط، وقد نشرتها "المجلة الاستعمارية" (Revue Coloniale) لأول مرة سنة 1846 أي بعد مرور ثلاث سنوات على كتابة المقدم كاي لها.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وقد خصص هذا الضابط نصف وثيقته للحديث عن البيضان الموريتانيين وحياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويمكن ترتيب محاور هذه الوثيقة حسب ورودها في النص على النحو التالي:

- أصول السكان،
- النظم السياسية والاجتماعية،
- الانتجاع،
- تقديرات عدد السكان،
- التجارة ومحطات التبادل،
- الثروة الحيوانية،
- العادات الغذائية،
- الحياة الثقافية،
- طبائع السكان.

وقد احتل الحديث عن المبادلات التجارية نصيب الأسد من هذه الوثيقة، وهو أمر يجد مسوغه في اهتمام الفرنسيين إذ ذاك -ومن منظور مركانتيلي- بالتجارة.

وفي خلال استعراضه لتجارة البيضان ذكر مقدم مشاة البحرية كاي أهم بضائعهم التجارية وهي: الملح، الصمغ العربي، الذهب، ريش النعام، التمور، الجلود والعاج. كما أشار إلى اثني عشر مركزا تجاريا نصفها[39] يسيطر عليه البيضان، ونصفها الآخر[40] يعتبرون طرفا فاعلا في التبادل التجاري به.

وهذا الحضور البارز للبيضان في العمليات التجارية بالمنطقة الذي يتضح من خلال وثيقة كاي المحررة سنة 1843 سيتواصل، على الأقل، حتى ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين، إذ أن النقيب دولارتيك (De Lartigue) يقدر قيمة تجارة البيضان مع السودان[41] في سنة 1895 بحوالي عشرة ملايين (10.000.000) فرنك مشيرا إلى أن أهم الصادرات البيضانية نحو بلاد السودان تشمل الملح والأغنام والملابس الأوروبية والمغربية[42]. ويعترف هذا النقيب بنفوذ البيضان التجاري في المنطقة وآنئذ قائلا: "[...] هكذا إذن، فإن تجارة محطاتنا [يعني الفرنسيين] بنهر السنغال وأقاليمنا بشمال السودان تقع تحت سيطرة البيضان"[43].

ولا تقتصر أهمية وثيقة المقدم كاي على كونها أوردت لأول مرة تسمية موريتانيا فقط بل إنها كذلك اشتملت على أولى المعطيات الكمية عن سكان منطقتي الترارزه والبراكنه الموريتانيتين.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ولئن كنا نجهل، لحد الساعة، المصادر التي استقى منها هذا الضابط معطياته الكمية تلك والطريقة التي جمعها بها[44] ونشك، بالتالي، في صحتها أو دقتها على الأقل، فإننا نعتبرها إذانا بتدشين مرحلة بالغة الأهمية في الدراسات التاريخية المعاصرة هي مرحلة العناية بالمعطيات الكمية حتى ولو كانت تلك المعطيات تقريبية وغير يقينية.

ومبعث شكنا هو كون الضابط كاي لم يتجاوز منطقة حوض نهر السنغال وبعض الأجزاء الهامشية من منطقتي الترارزه والبراكنه المتاخمتين لها[45] وهو بالتالي لم يقم بإحصاءات سودانية[46] جديرة بهذا الاسم داخل المنطقتين تمكنه من جمع الأرقام التي نشرها، كما أنه يعترف، هو نفسه، بصعوبة هذه المسألة مسوغا اللجوء إلى التخمين حين يقول: "ليس من السهل تحديد رقم دقيق لعدد السكان في هذه الأصقاع التي لا توجد بها إدارة منتظمة وبالتالي لا يمكن القيام بأي تعداد فيها فليس أمامنا، بهذا الخصوص، إلا مجرد التخمين"[47](التشديد منا).

وفضلا عن ذلك فإن طبيعة المجتمع البيضاني المسلم المحافظ وموقفه المعادي للتعامل مع "النصارى" لم يسمحا لهذا الضابط بالحصول في ذلك الوقت على تلك المعلومات المفصلة، فالرحالة الفرنسي رني كايي[48](René Caillié) الذي تظاهر باعتناق الإسلام وأقام بين صفوف البيضان وادعى أنه من أصل مصري بقي دائما مثار شك لدى هؤلاء السكان الذين اتهموه، أكثر من مرة، بأنه جاسوس للنصارى جاء ليحمل إليهم أسرار البلاد والعباد[49]. وإذا كانت "المجتمعات -كما يقول بول باسكون (Pascon Paul) ترغب دائما في إخفاء ما تصنعه وما هي عليه"[50] فإن ذلك ينطبق أكثر على المجتمع البيضاني التقليدي المحافظ.

ولعل من أهم الملاحظات التي يمكن إبرازها بشأن هذه الوثيقة[51]:

1- الحديث عن الخلافات الداخلية بين البيضان بقصد تضخيم تلك الخلافات كالجزم بأن هدف الأمير الترزوي محمد الحبيب من نقل محطة الترارزه التجارية من مركز كايه[52] إلى مركز لواخ[53] هو تحطيم المحطة التجارية التابعة لقبيلة إدوالحاج الزاوية[54] أو كالتأكيد على سهولة التنكر لسلطة الأمراء وعزلهم[55] وكالإشارة إلى الحروب "المتواصلة" بين مجموعتي أولاد امبارك وإدوعيش[56].

2- الإكثار من استخدام النعوت والعبارات التحقيرية لوصف السكان البيضان. وبرهانا على ذلك يمكن أن نسوق الأمثلة التالية:

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

-تم إطلاق عبارة "الدهماء (les peuplades) في الصفحتين الأولى والثانية على بيضان الصحراء.

- استخدمت عبارة "بربرة (barbaresques) بمعناها القدحي ولبس العرقي في الصفحة الأولى لعنا لهؤلاء القوم.

- أطلقت أوصاف مثل: "مخادعون (fourbes) و"قساة (cruels) في الصفحة الأولى وصفا للبيضان.

- ألصقت بهؤلاء السكان نعوت مثل: "طائش" (frivole) و"التهجم الوقح" (l'insolente forfanterie).

- حكم على هؤلاء القوم بأنهم "يتعاطون، بلا تبصر، مختلف أصناف الرذيلة [...] ويجهلون، على ما يبدو، مبادئ الفضيلة كما حددتها أمم العالم المتحضر"[57].

3- تمثل السياسة الاستعمارية الشهيرة "فرق تسد"، وهو تمثل يلاحظ من حديث الضابط كاي عن "الإهانات المستمرة والظلم الاستبدادي الذي تعرض له السكان ذوو الأصول البربرية"[58]. فهذه "الإهانات المستمرة والظلم الاستبدادي" إشارة إلى الصراعات التي اندلعت بين القبائل العربية الوافدة على المنطقة والقبائل الصنهاجية القديمة العهد بها نسبيا، وذلك في نطاق التنافس على "المجال الحيوي" وإعادة تشكل الخريطة الاجتماعية والسياسية للمنطقة[59].

ومعلوم أن فرنسا قد تبنت، منذ احتلالها للجزائر، سياسة مبنية على اختلاق صراع عرقي بين البربر والعرب منتهجة دعم البربر وإثارتهم ومحاولة كسبهم إلى جانب الحضارة الغربية في إطار صراعها مع الحضارة العربية الإسلامية، وهي السياسة التي تعرض لها الجابري بالدراسة في بحث رصين[60] محللا أبعادها ونتائجها في المغرب الأقصى من خلال ما يعرف بـ"الظهير البربري".

وبعد مضي أزيد من نصف قرن على إدانة كاي الخجولة إلى "الإهانات المستمرة والظلم الاستبدادي الذي تعرض له السكان ذوو الأصول البربرية" نجد مزيدا من شرح ما أومأ إليه هذا الضابط الفرنسي، وذلك مع أحد منظري ومنفذي السياسة الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة هو بول مارتي[61](Paul Marty). يقول بول مارتي متحدثا عن الموضوع حديثا صريحا وملحازا إلى حد بعيد: "إن غياب البربر شيئ يؤسف له [؟!]، ذلك أنهم لو أرادوا الصمود أمام الغزاة العرب فإن أعدادهم وثرواتهم تخولهم بسهولة قهر مجموعة النهابين هذه وطردها بعيدا أو استيعابها. إن الحضارة البربرية العملية والتقدمية أفضل من

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

العادات العربية السلبية والعدوانية المتأتية من بداوة مستحكمة غير صالحة لأي تقدم جدي [!][6] (التشديد منا).

حواشي التحقديم

[1]) المقصود تسمية أطلقها مؤلفو كتب المسالك والممالك والمؤرخون العرب في القرون الوسطى على سكان الصحراء القاصلة بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان، وإن كانت القبائل الصنهاجية في غرب الصحراء قد اشتهرت بتلك التسمية أكثر من غيرها حتى اختصت بها في معظم الكتابات العربية خلال الفترة الوسيطة. راجع: الغالي بن الحسين، "صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن الثامن إلى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي"، أطروحة دوكتوراه في التاريخ (جامعة القاض)، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

[2]) الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة.. والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 647 ص.، 1987، ص ص. 18-19.

[3]) عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، المجلد 6، ص. 373.

[4]) نذكر منهم خاصة:

- محمود كعت، تاريخ الفتاش، نشر هوداس، باريس، 1964.
- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق وترجمة هوداس، باريس، 1964.

[5]) أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 299 ص.

[6]) أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 1961، 582 ص.، ص. 422.

[7]) استخدمت هاتان التسميتان خصوصا عند كل من:

- الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت.1826)، الرسالة الفلاوية، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

- الشيخ سيدي الكبير (ت.1868)، الميزان القويم والصراط المستقيم، مخطوط.
- الشيخ محمد المامي (ت.1875)، مكاتب البادية، مخطوط.

[8]) ظهرت هذه التسمية خاصة عند:

- محمد فال بن بابه (ت.1930)، كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنه والترارزه، تحقيق أحمد ولد الحسن، تونس، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات-بيت الحكمة، قرطاج، الطبعة الأولى، 1986، 108ص.
- الشيخ محمد المامي، مصدر سابق.

[9]) مجموعة من القبائل تنتسب إلى مغفر بن أودي بن حسان وهو الجد الجامع للقبائل المحاربة التي تمكنت من السيطرة على البلاد الموريتانية مقيمة عليها سلطا سياسية جهوية شبه مركزية (الإمارات) ومشيخات قبلية ذات صيت. وهذه القبائل هي: الرميثات، أولاد لخليفه، أولاد الناصر، أولاد عثمان بن مغفر (الطرشان، أولاد امبارك، أولاد داود احمد، أولاد داود صران، أولاد يحيى بن عثمان، لخوانات، البراكنه والترارزه.

[10]) الشيخ محمد المامي، مصدر سابق.

[11]) عرفت تسمية البيضان (les Maures) تطورا دلاليا عبر العصور، ففي القديم أطلق الرومان اسم (Maure) أو (Moro) أو على سكان موريتانيا القديمة (المغرب الحالي)، وفي الفترة الوسيطة شاع هذا المصطلح للدلالة على المسلمين الذين فتحوا الأندلس، وتطلق هذه التسمية حاليا على سكان المنطقة الصحراوية التي تضم فضلا عن الجمهورية الإسلامية الموريتانية أجزاء من جمهورية مالي وجنوب الجزائر والصحراء الغربية. وقد احتفظ البيضان الموريتانيون لأنفسهم، على مر الزمن، بهذه التسمية حتى أصبحوا يعرفون بها دون غيرهم، إذ ما تزال شائعة إلى اليوم للدلالة على الموريتانيين العرب (دون الزنوج) مع شيوع كتابتها 'بيظان'، أي بإبدال حرف الضاد ظاء، كما هو الشائع عندهم. راجع: محمدو بن محمذن، "المجتمع البيضاني في القرن التاسع عشر (قراءة في الرحلات الاستكشافية الفرنسية)"، أطروحة دكتوراه في التاريخ، جامعة تونس الأولى، تونس، 1997، 752 ص.، صص. 10-12.

[12]) مثل:

- Eugène-Abdon Mage,
- "Missions et voyage Ségou (1860-1864)", Archives Nationales du Sénégal (ANS), Série G: Politique et administration générale, Sous-série 1 G 1: Etudes générales: missions, notices et monographies (1818- 1921), 1 G 32, 40 p., pp. 3, 5 et 6.
- "Rapport sur le voyage de Mage au Tagant (1859-1860)",
- De Lartigue, le Commandant de la région du Sahel, "Notice sur les Maures du Sénégal et du Soudan", ANS, Série G, Sous-Série 1 G 1: Etudes générales, op.cit., 1 G 224, 80 p., pp. 1 et 5.

[13]) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى:

- أحمد ولد الحسن، الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري، مساهمة في وصف الأساليب، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الطبعة 1، 1995، 478 ص.، صص. 13 - 23.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

- داود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 - 18 م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ (بالمغرب راه السلك الثالث)، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992 1993، 270 ص.، ملحق، 32 31.

- محمدو بن محمدن، "المجتمع البيظاني في القرن التاسع عشر ....، أطروحة دكتوراه في التاريخ، مرجع سابق، ملحق، 10 18.

[14]) من أهم هذه الاتفاقيات تلك الموقعة مع بيظان الترارزه والبراكنه وأولاد ميلن، راجع:
ANS, Série (1 Politique et administration générale (1783-1920), Sous-Série 9 O: Affaires politiques et administrations musulmanes:
- 9 (1 6 Traités avec les Trarza (1810-1893);
- 9 (1 7 Traités avec les Brakna (1819-1886);
- 9 (1 8 . Traités avec les Idaoulech (1893).

[15]) هي إمارات البراكنه، الترارزه، أدرار والكنت التي تأسست للسيطرة على البلاد الموريتانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. والإمارة هي تنظيم سياسي فوق قبلي يسيطر على مجال محدد عرفا وتدين له القبائل القاطنة في ذلك المجال بالطاعة وعليها يستند ثرائه وشرعيته. ويمثل النظام الأميري تعبيرا عن نمط من التوازن بين عناصر مجموعة البيظان القديمة العهد بالعطالة وتلك الطارئة عليها. ومع أن الإمارة تشبه الدولة المركزية فإنها تفتقر إلى بعض مقوماتها الأساسية كالجيش النظامي وبيت المال والدواوين والوزراء. ذلك ما جعل البعض يعتبرها دولة جنينية. بخصوص نشأة وتطور وطبيعة هذه الإمارات، راجع:

- Constant Hamès, "L'evolution des émirats maures sous l'effet du capitalisme marchand européen", in Production pastorale et Société, la Maison des Sciences de l'homme, Paris, 1979, pp. 378-397.

- Pierre Bonte,
- "La constitution de l'Emirat de l'Adrar: quelques hypothèses provisoires", Paris, *Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée*, n°32, 2e trimestre, 1981-1982, pp. 37-52.
- "Segmentarité et pouvoir chez les éleveurs nomades sahariens: éléments d'une problématique", in Production pastorale et Société, la Maison des Sciences de l'homme, Paris, 1982, pp. 171-199.
- "Guerriers et reproducteurs. La Towba et l'évolution politique des Emirats maures", Paris, 1984.

- Abdel Wedoud Ould Cheikh, Nomadisme, islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale., op.cit. op.

- Mocktar Ould Hamidoun, "Notes sur l'histoire des Trarza, Dakar, *Bulletin de l'IFAN*, série B , t. 6, 1948, pp. 461-538.

- Ahmed Baba Ould Ahmed Miské, Tableau de la Mauritanie au début du XXe siècle, Paris, Klincksieck, 1970., p. 94.

[16]) لذكر على الخصوص:

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

. "Mémoire inédit de Monserat sur l'histoire du Nord du Sénégal de 1818 à 1858, publié et commenté par Boubacar Barry, *BIFAN*, Série B., t XXXII, n°1, janvier 1970, Dakar, pp. 1 43.

. De Lartigue, le Commandant de la région du Sahel, "Notice sur les Maures du Sénégal et du Soudan..., op.cit.

[17]) تشير خاصة إلى بعض ملفات سلسلة "ب" (B) المتعلقة بالمراسلات العامة:

ANS. Série B: Correspondances générales (1779-1899):

.Sous-Séries 1 B 1 1 B 231: Correspondance arrivée du Ministre au Gouverneur (1779-1896):

.Sous-Séries 2 B 1 2 B 72: Correspondance départ du Gouverneur du Sénégal au Ministre (1816-1896):

- 2 B 3: Lettres au Ministre (1817-1819) du 23/12/1817 au 13/02/1819;

- 2 B 3 bis: Lettres du Gouverneur au Ministre (pendant le séjour de Schmaltz en France du 28 février 1818 au 13 février 1819, un registre, 88 ff.

. Sous-Séries 3 B 1 3 B 99: Correspondances départ du Gouverneur du Sénégal avec personnes autres que le Ministre (1788-1893):

- 3 B 77: Correspondance avec les chefs de postes (1854-1858), 1 registre, 438 p., pièce n°7;

- 3 B 82: Correspondances avec les arrondissements de Saint-Louis et de Bakel (1861-1864), 1 registre, 75 ff.

[18]) نذكر منهم مثلا لا حصرا بالأرشيف السنغالي:

ANS. Série G, Sous-Série 1 G 1: Etudes générales: missions, notices et monographies (1818-1921):

. 1 G 25: Rapport de Mage: "voyage au Tagant (1859-1860)", 7 p.

. 1 G 27: "Projet de voyage de Ben El Moghdad travers le Désert", 1 pièce.

. 1 G 32: Missions de Mage et voyage Ségou (1860-1864), 40 p.

[19]) يمكننا أن نذكر على سبيل المثال:

-Louis-Léon-César Faidherbe, Le Général

Notice sur la Colonie du Sénégal et sur les pays qui sont en relation avec elle, Paris, Bertrand, 1859, 100 p.

Le Sénégal et La France dans l'Afrique occidentale, Paris, Hachette, 1889, 501 p

. Monserat, "Mémoire inédit de Monserat sur l'histoire du Nord du Sénégal, op.cit.

[20]) محمد بن ممدان، "المصادر الأجنبية للتاريخ الموريتاني المعاصر"، ضمن أعمال الندوة المغاربية الأولى لتاريخ المغرب العربي المعاصر حول "منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية بالمغرب العربي"، زغوان، تونس، سبتمبر 1998، 424 ص.، ص. 21-41.

[21]) من أمثال:

- René Caillié, Voyage Tombouctou, Paris, 1989, Editions La Découverte, 21., 291 et 373 p., t.-1, p. 139.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

- Alioune Sall, "Rapport sur un voyage d'exploration dans l'intérieur de l'Afrique (1860-1862)", 46 p., Archives Nationales de France, Centre des Archives d'Outre-Mer (ANPCAOM), Série: Missions, Carton 1: Missions et Voyages, chemise n°5, Dossier Alioune Sall, pp. 3 et 14.

[22]) راجع بهذا الخصوص:

- Paul Soleillet, "Rapport Monsieur Le Ministre des Travaux Publics sur le voyage de Saint-Louis l'Adrar, Décembre 1879-Mai 1880", 154 p., ANFCAOM, Carton 2, dossier Paul Soleillet, pp. 23, 129 et 135.
- Paul Blanchet, "Rapport de mission en Adrar (Mauritanie) 1900", ANFCAOM, Carton 2711, chemise n!4, 36 p., dossier Paul Blanchet, pp. 2, 7 et 34.
- De Lartigue, "Notice sur les Maures du Sénégal et du Soudan...", op.cit., pp. 4 et 29.

[23]) انظر على سبيل المثال:

- Mage Eugène-Abdon, "Rapport de Mage sur son voyage au Tagant (1859-1860)", op.cit., p.1.
- Bou El Mogdad, Projet de voyage de Bou El Mogdad travers le Désert, op.cit., p. 3.
- De Lartigue (le Capitaine), "Notice sur les Maures du Sénégal et du Soudan...", op.cit., pp. 3, 9, 21 et 48.
- R. Collignon et J. Deniker, "Les Maures du Sénégal", *L'Anthropologie, (mémoires originaux)*, t.-VII, Paris, 1896, pp. 257-269.

[24]) خلاصة معظم الفرنسيين الذين أشرنا إليهم في الإحالتين السابقتين.

[25] السودان أو السودان الفرنسي (Soudan français): تسمية كان الفرنسيون يطلقونها على رقعة جغرافية تضم آن ذاك بالإضافة إلى جمهورية مالي الحالية بعض أجزاء البلاد الموريتانية. ولنذكر فإن تسمية "بلاد السودان" أو "السودان الغربي" كانت تطلق على المنطقة منذ الفترة الوسيطة (حسب الكتب الأوربي).

[26]) هو كزافيي كوبولاني (1866-1905)، أحد الإداريين الفرنسيين ارتبط اسمه بعملية إخضاع البلاد الموريتانية، وقد أدرك هذا الإداري أهمية الدور الذي يلعبه الدين الإسلامي بالمنطقة فاعتنى بدراسة الثقافة العربية الإسلامية ومبادئ هذا الدين، وتخصص في الطرق الصوفية. وفي ملتقى القرنين التاسع عشر والعشرين تزعم كوبولاني مسار مد النفوذ الفرنسي في المنطقة مستفيدا من وضعية الفوضى التي كانت تعرفها البلاد حينها مستعملا بعض القبائل الزاوية لتدعيم في تطبيق السياسة التي سماها "نشر السلم وإخماد الفتن" (la pacification). وكان كوبولاني وراء إنشاء إقليم "موريتانيا الغربية" (La Mauritanie Occidentale) التي شغل منصب مفوضها العام. ولم يكد ينهي عمليات إخضاع الترارزه والبراكنه وتكانت حتى قتله مجموعة من رجال المقاومة يوم 12 ماي/أيار 1905 في قلعة تجكجة بوسط البلاد. راجع حوله:

- Robert Arnaud dit Randau, Un Corse d'Algérie chez les Hommes bleus, Xavier Coppolani, le pacificateur, Alger, A. Imbert Editeur, 1939, 216 p.
- Anonyme, Hommes et destins, dictionnaire bibliographique d'Outre-Mer, Paris, 9 tomes, 1975-1989, t. 1., pp. 158-160.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

. Numa Broc, Dictionnaire illustré des explorateurs français au XIXème siècle. I. Afrique, Paris, Editions du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques, 1988, 316 p., p. 89.

[27]) راجع:

Jean-François Caille, "Notes sur les peuples de la Mauritanie et de la Nigritie, riverains du Sénégal", *Revue coloniale* , tome IV, 3ème série, Paris, septembre 1846, pp. 1-10.

[28]) مدينة تقع في غرب جمهورية مالي على الضفة اليسرى لنهر السنغال. وقد استطاعت بدور مهم بصفتها مركزا تجاريا في طليعة بضائعه الصمغ العربي والفول السوداني.

[29]) رأس جوبي(Cap Juby): رأس يقع على بعد بضعة كيلومترات من مدينة الطرفاية المغربية.

[30]) راجع:

Robert Randau, Un corse d'Algérie chez les Maures blancs, op.cit., p. 72.

[31]) أقرت هذه التسمية رسميا ابتداء من 27 نوفمبر/كانون الأول 1899 بواسطة قرار وزاري صادر عن وزارة المستعمرات الفرنسية.

[32]) اعتمدنا في معلوماتنا المتعلقة بحياة جان-فرانسوا كاي -فضلا عن ملفه الأرشيفي- على:

. Caille (Capitaine du 3ème régiment de l'infanterie de la marine, "Voyage d'exploration au Sénégal (décembre 1839- février 1840)", Série géographique: Afrique, Sous-Série: Sénégal et Dépendances-III, Explorations et Missions, Sénégal et Dépendances-III/5-d:, dossier Caille, 15 p.

. Anne Raffenel, Voyage dans l'Afrique occidentale, exécuté en 1843 et 1844, Paris, Arthus Bertrand, Editeur, 1846, 512 p.

. Christian Schefer, Instructions générales données de 1763 1870 aux gouverneurs et ordonnateurs des établissements français en Afrique occidentale, Paris, Librairie Ancienne Honoré Champion Edouard Champion, 2 volumes, tome premier: 1763-1831 (1921), 457 p. et tome second: 1831-1870 (1927), 685, t-II, p. 638.

[33]) للمزيد من المعلومات عن هذه الملسلة تمكن مراجعة:

. Gaspard-Théodore Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique et aux sources du Sénégal et de la Gambie, fait en 1818 par ordre du Gouvernement français, Imprimerie de Madame Veuve Courcier, Paris, 1820, 2 volumes, VIII+337 319 p. Deuxième Edition, Paris, 1822, Arthus Bertrand, 2 volumes, XVI+415 et 352 p.

. Maurice Delafosse, L'Afrique Occidentale française, in Collection histoire des colonies françaises et de l'expansion de la France dans le monde. (Gabriel Hanotaux et Alfred Martineau),. IV, Paris, Plon, 1931, 611 p.

[34]) خاصة في ملفات السلسلة 'ب' (B) المشار إليها في الإحالة رقم 17 من هذا التقديم.

[35]) گوري (Gorée): جزيرة صغيرة بالساحل السنغالي تقع قبالة داكار احتلها الهولانديون سنة 1619 وانتزعها منهم الفرنسيون سنة 1677 حيث أصبحت من أهم المراكز الفرنسية

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

بسواحل إفريقيا الغربية اتخذت هذه الجزيرة مركزا لتجميع الزنوج قبل تأهيلهم ولفهم (عبيدا) إلى العالم الجديد. راجع:

Robert, (sous la direction de), Le Petit Robert 2, Dictionnaire universel des noms propres alphabétique et analogique, Paris, 1981.

[36]) انظر:

Caille (Capitaine du 3ème régiment de l'infanterie de la marine, "Voyage d'exploration au Sénégal ...", *op.cit.*

[37]) راجع:

Jean-François Caille (Lieutenant-Colonel d'infanterie de marine), "Notes sur les peuples de la Mauritanie et de la Nigritie ...", *op.cit.*

[38]) انظر:

Jean-François Caille (Lieutenant-Colonel d'Infanterie de Marine), "Tableau statistique du fleuve du Sénégal, dressé en 1843 par le Commandant Caillié, attaché à l'état-major de la Colonie", Paris, *Revue Coloniale*,, 2ème série, t-VI, de janvier à juin, 1851, pp. 5-19.

[39]) يتعلق الأمر بمراكز ومحطات الزارز، البراكنه، دارمنكور، كايه، لواغ ووادي نون، وسنعود إلى هذه المراكز بالتعريف ضمن تحقيق هذا النص.

[40]) هذه المراكز والمحطات هي: تنبكتو، سين-لوي، بنكل، كارطه، مدينه وكينيوك، وسنحاول تعريفها أثناء تحقيق هذا النص.

[41]) ضابط فرنسي شغل وظائف إدارية وعسكرية بالمنطقة من ضمنها قائد قطاع منطقة الساحل السودانية.

[42]) يطي دولة مالي الحالية. راجع: الإحالة رقم 25 من هذا التقديم.

[43]) انظر:

De Lartigue, le Capitaine, "Notice sur les Maures du Sénégal et du Soudan...", op.cit., ..

[44]) المرجع والصفحة السابقان.

[45]) لا نستبعد أن يكون إشراف الضابط كاي على مصلحة محطات القبائل الشهرية ومكتب العلاقات الخارجية بالمستعمرة قد ساعده على جمع هذه المعلومات لكن ذلك لا يمنعنا من التحفظ بشأن دقة معطياته الكمية تلك.

[46]) رغم أن هيئة تحرير المجلة التي نشرت التقرير الأخير أشارت إلى أن هذه المعطيات قد جمعت في عين المكان.

راجع:

Caille (Capitaine du 3ème régiment de l'infanterie de la marine, "Voyage d'exploration au Sénégal", 3.

[47]) انظر: الصفحة رقم 70 من هذا البحث.

[48]) رني كايي (1799-1836): رحالة فرنسي وصل المنطقة لأول مرة سنة 1817 وهو ما يزال شابا وتجول داخل البلاد الموريتانية وفي منطقة السودان الغربي، كان أول أوربي يصل مدينة تنبكتو ويعود منها ببعض المعلومات التي كانت تهم الأوربيين في ذلك الحين. راجع حول هذا الرحالة:

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

. René Caillié, Voyage Tombouctou, op.cit.
. Antoine Demougeot, René Caillié (1798 -1838), Paris, Collection: Les grands Coloniaux, Edition de l'Empire français, 1948, 155 p.
. André Lamandé et Jacques Nanteuil, La vie de René Caillié, vainqueur de Tombouctou, Paris, Plon, 1928, 284 p.

[49]) راجع: René Caillie, op.cit., t- 1, pp. 90-91.

[50]) بول بلسكون، "مقابلة مع بول بلسكون"، ضمن "ملف بول بلسكون وعلم الأجنة القروي"، بيت الحكمة، العدد الثالث، 1986، تونس، ص.75.

[51]) هذا فضلا عن التعليقات التي أوردنا أثناء عملية تحقيق الوثيقة.

[52]) حول هذا المركز، راجع: الإحالة رقم 44 من تحقيق هذا النص.

[53]) انظر بخصوص هذا المركز: الإحالة رقم 45 من تحقيق هذا النص.

[54]) يقول كاي بهذا الخصوص ما نصه: "إن هدف أمير الكرارزه من هذا التغيير هو القضاء على المحطة التجارية التابعة لهؤلاء الزوايا ".

"... Ce changement, de la part du roi des Trarzas, eut pour but d'anéantir toute de ces marabouts...", Jean-François Caille, "Notes sur les peuples de la Mauritanie et de la Nigritie... ", op.cit.,

[55]) حول هذه المسألة تمكن مراجعة: الإحالة رقم55 من تحقيق هذا النص.

[56]) انظر:

Jean-François Caille, "Notes sur les peuples de la Mauritanie. ", op.cit.,

[57]) ينوه كاي بمكان هذه البلاد بأنهم "يتعاطون، بلا تبصر، جميع أصناف الرذيلة، ويجهلون، على ما يبدو، مبادئ الفضيلة كما حددتها أمم العالم المتحضر" فيقول ما نصه:

"... Ils s'abandonnent aveuglement tous les vices, et paraissent ignorer les principes de la vertu, tels qu'ils sont définis par les nations du monde civilisé.", Jean-François Caille, "Notes sur les peuples de la Mauritanie, ...", op.cit.,

[58]) راجع: تحقيق هذا النص، ص64.

[59]) بخصوص هذه الصراعات والحروب تمكن مراجعة:

- محمد المختار بن أحمد، حرب ذوربية أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1993، 195 ص.

. Abdel Wedoud Ould Cheikh, "Nomadisme, Islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale. Essai sur quelques aspects du tribalisme", thèse pour le doctorat en sociologie, Université Paris V, 1985, 3 t., 1056 p., pp.163 et suivantes.

. Geneviève Desiré-Vuillemin, "La guerre de Char Bouba, Sahara Occidental. Fin du XVIIème siècle", Paris, *Le Saharien*, n°56, 1er et 2ème trimestre, 1971, pp., 20-25.

[60]) محمد عابد الجابري، "يقظة الوعي العربي في المغرب: مساهمة في نقد الموضوعات الاستعمارية"، ضمن: المغرب المعاصر، الخصوصية والهوية.. الحداثة والتنمية، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء/المغرب، الطبعة الأولى، 1988، صص. 75-110.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

[61]) بـول مـارتي (Paul Marty): أحـد الإداريين الفرنسيين وهـو مـن رواد المدرسـة الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة (تونس، الجزائر، المغرب وموريتانيا)، شـغل منصب رئيس مصلحة الشؤون الإسلامية بمستعمرة السنغال، وقد نشر ثلاثة عشر كتابا تتضمن نتائج عمله في الاستخبارات بالمنطقة. يذهب إبراهيم بو طالب إلى اتهامه بأنه "صـانع الظهير البربري في المغرب سنة 1930". راجع: إبراهيم بو طالب، "البحث الكولونيالي حول المغرب العربي: حصيلة نقدية"، ضمن: البحث في تاريخ المغرب. حصيلة وتأويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة ندوات ومنـاظرات رقـم 14، الربـاط، 1989، مسس. 107-173، ص. 131.

[62]) راجع:

«Cet effacement des Berbères paraît tout à fait regrettable. S'ils avaient voulu résister fermement aux envahisseurs, leur nombre et leurs richesses leur permettaient facilement de dompter ces quiques pillards et de les rejeter au loin ou les assimiler. La civilisation berbère, pratique et progressiste, valait bien les coutumes arabes, négatives ou oppressives, issues d'un nomadisme invétéré, impropre à toute évolution sérieuse.», voir: Paul Marty, L'Emirat des Trarza, Paris, Edition Larose, Paris, 1919, 483, p. 23.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

الوثيقة مترجمة ومحققة

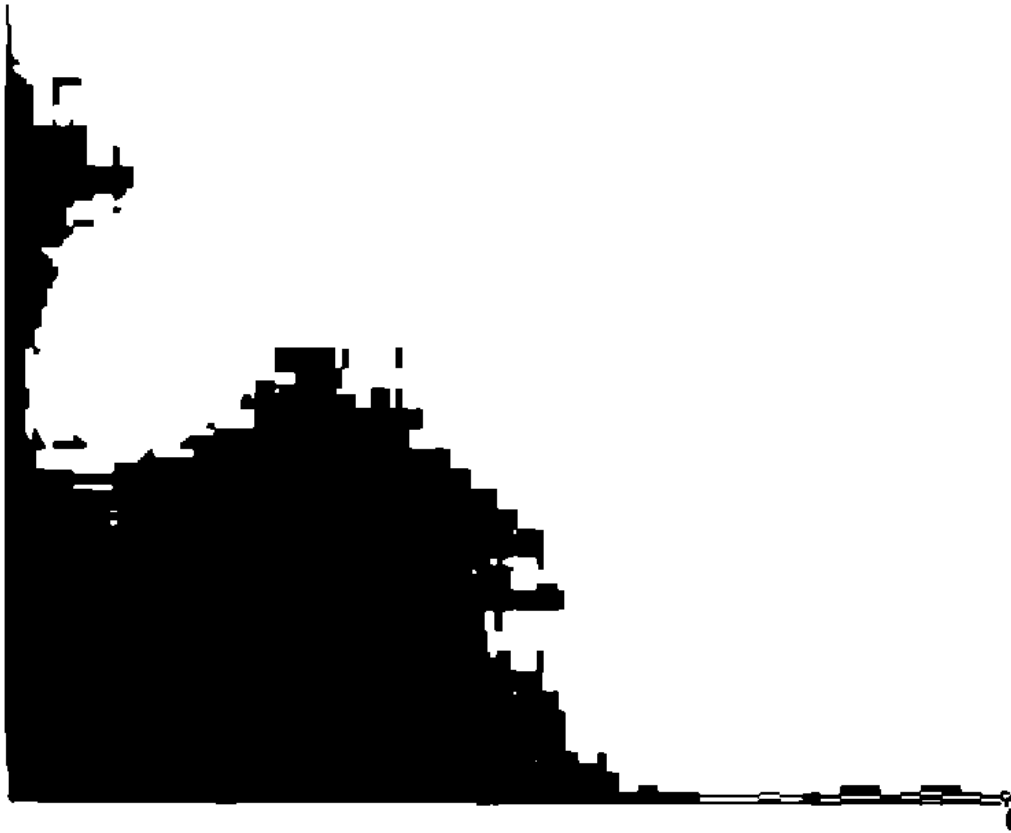

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ملاحظات
حول سكان موريتانيا وسكان بلاد الزنوج
المتاخمين لنهر السنغال

بقلم جان-فرانصوا كاي مقدم مشاة البحرية[1]

[أهم المحاور][2]

I) موريتانيا.- أصل سكانها.- نظام الحكم عند البيضان.- السكان.- التجارة، المحاصيل والأغذية.- اللغة.

II) بلاد الزنوج.- خاصو.- السراخله.- فوته.- والو.- ملاحظات متعلقة بنهر السنغال وروافده[3].

I) موريتانيا

[أصل السكان]

إن مختلف العشائر التي تقطن موريتانيا[4] منذ زمن سحيق لقد تشكلت وتجمعت، على الأرجح، إثر تحولات عديدة هزت الشمال الإفريقي. وينضاف إلى هذه الأسباب الأساسية الإهانات المستمرة والظلم الاستبدادي الذي تعرض له السكان ذوو الأصول البربرية[5]. ثم إن كل المؤشرات تحمل على الاعتقاد بأن طرد

حواشي التحقيق

[1]) جمعت هذه الملاحظات في عين المكان خلال أكتوبر/تشرين الأول 1843 (المحرر).
[2]) لقد أضفنا إلى النص الأصلي عناوين فرعية تسهيلا لتفصيله، ووضعناها بين معقوفتين تمييزا لها عن المتن الأصلي.
[3]) لقد اقتصرنا على ترجمة وتحقيق جزء هذه الوثيقة الأول المخصص لموريتانيا، وذلك لارتباطه بالموضوع وأغفلنا ترجمة وتحقيق جزئها الأخير المتعلق ببلاد الزنوج (أي بالمناطق الواقعة بالضفة اليسرى لنهر السنغال).
[4]) بخصوص موريتانيا انظر: تقديم هذا البحث، ص.ص:58-59 الاحالة رقم10.
[5]) راجع: العنصر الأخير من تقديم هذا النص ص:57.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

الموريسكيين[6] من غرناطة قد ساهم، أصلا، مساهمة كبيرة في زيادة عدد السكان البيضان[7] بالصحراء.

إن سكان هذه البلاد، على العموم، مخادعون [؟!]، لساة [؟!] يتعاطون، بلا تبصر، أصناف الرذيلة [؟!]، وهم يجهلون، على ما يبدو، مبادئ الفضيلة كما حددتها أمم العالم المتحضر [؟!][8]. ويمتاز هؤلاء السكان على كثرتهم وتلوعهم بكونهم من الملونين رغم اختلافات لا حصر لها في الألوان والملامح تبعا لأنماط الأصول التي منها ينحدرون. وهذا الاختلاف ناجم عن اختلاط متراكم عبر الزمن. وفضلا عن ذلك فليست ثمة سلالة نقية ضمن هذه العشائر ولا ميزة أو سمة أصيلتان.

[النظم السياسية والاجتماعية]

إن نظام الحكم عند البيضان أوليغارشي[9]، ويحمل أمراؤهم لقب أمجار[10].

---

[6]) الموريسكيون أو الموريسكوز هم المغاربة الإسبان الذين رجعوا إلى أقطار المغرب العربي بعيد سقوط غرناطة وما رافقه من ظلم واضطهاد تعرض له السكان المحليون وخاصة منهم المسلمون المنحدرين من أصول عربية.

[7]) يعود إطلاق تسمية البيضان أو البياضين على سكان هذا الجزء من الصحراء الإفريقية الكبرى -حسب علمنا- إلى الرحالين والجغرافيين العرب في القرون الوسطى وذلك لتمييز هؤلاء السكان ذوي البشرة السمراء (الضاربة أحيانا إلى البياض) عن بقية سكان المنطقة الزنوج ذوي البشرة السوداء (السود). راجع:

- محمد الوراق الطنجي ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، 1968، 682 ص.، ص.663 .

- أبا عبيد بن عبد العزيز البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ (د. ت.)، صص. 158-159.

[8]) يبدو هنا واضحا تأثر المتكلم كاي بالرسالة "التمدينية" التي ادعت فرنسا وغيرها من الأقطار الأوربية أن من واجبها القيام بها في بقية العالم. وفي هذا السياق يقول جول فيري(Jules Ferry) وقد دشن التاريخ الفعلي لبروز النظرية الفرنسية للاستعمار التي شكلت الدعوة إلى "التمدين" أحد أركانها الرئيسية: "إن هناك حقا للأعراق الأفضل [؟] لأن هناك واجبا عليها أداؤه. إن واجبنا تمدين الأعراق الأدنى [؟] مضيفا "أن هناك مناسبات ... يتطلب فيها شرف فرنسا أن لا تترك شعبا بربريا [؟] يمعن في الفهي زمنا أطول" نقلا عن: أحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، 504 ص.، ص.129.

[9]) أوليغارشية (Oligarchique)نظام ذو علاقة بحكم الأقلية، تهيمن عليه مجموعة صغيرة لفائدة هدفها الاستغلال.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ويمكن تقسيم البيضان إلى ثلاث فئات[11]:

أ) فئة الأمراء والقرسان[12] غير الغارمين. ولا يعتمدون في حياتهم إلا على النهب والسلب. بيد أن الأمراء، صاروا منذ عقد من الزمن، يسخرون الآخرين لجني الصمغ العربي، كما تتعاطى مجموعة من الغارمين الحرفة نفسها فضلا عن ممارسة الزراعة. ولأن طبقة الأمراء والقرسان أصبحت أقل جانبا مما

---

[10]) لجار : تسمية محلية تطلق على الأمير. ولا يستبعد أن تكون مشتقة من تعبير "من لجار". والذي قد تكون من أصل عربي، رغم أن بعض الباحثين يعتبرها تسمية بربرية محضة متشرة حتى في صفوف الطوارق بالمناطق المجاورة.

[11]) رغم وعينا بما تثيره التصنيفات الاجتماعية (طبقة، فئة، شريحة، طائفة..إلخ..) من إشكاليات والتباسات بين منظري الدراسات التاريخية والاجتماعية، فقد اخترنا ترجمة (Classe) بالفئة لا بالطبقة لأننا نعتقد أن هذه الطائفة بعيدة كل البعد من أن تشكل طبقة اجتماعية بالمعنى المتارف لهذا المصطلح.

[12]) الأمراء أو القرسان: تشكل هذه الفئة التي تغلب عليها تسمية حسان (نسبة إلى القبائل الحسانية) الجناح العسكري للأرستقراطية البيضانية، وهي تتكون من القبائل والمجموعات العربية التي تتولى الزعامة السياسية والعسكرية في الإمارات المغربية (البراكنة، الترارزة، وأهل بحيى بن عثمان) وفي إمارة إدوعيش الغنطرة، وكذلك في المشيخات والقبائل الحسانية. غير أن حسان في الاصطلاح المحلي البيضاني تطلق على الفئة البيضانية المتارغة لممارسة السلطة السياسية والعسكرية والمتخصصة في فنون الحرب والفروسية سواء كانت منحدرة من أصل حساني أم لا. ويعيش أفراد هذه الفئة، في العادة، على المغارم والأتاوات التي يفرضونها على الآخرين، أو على العبيد البرر، إذ أنهم يأنفون من ممارسة الأنشطة الأخرى كالزراعة والرعي والتجارة، معتبرين أن مثل هذه الأعمال مخلة بمكانتهم الاجتماعية، لشيوعها كما يقول ابن حامد: "في النساء والعبيد ومداومة الكفاح وامتلاك الرقاب، لموالهم سلاحهم وحصونهم ظهور خيلهم عيشتهم الصيد وما يأخذونه من المغرم أو ما يغيرونه من الأعداء، وما عدا ذلك فهو عيب عندهم من تجارة أو حرث أو اقتناء ماشية".

وقد أطلق الفرنسيون على هذه الفئة تسميات متعددة من أشهرها:

- حسان (Les hassanes)،
- العرب (Les arabes)،
- القرسان أو المحاربون (Les guerriers)،
- الأمراء (Les émirs, princes).

للمزيد من المعلومات عن هذه المجموعة يمكن الرجوع إلى:

- المختار بن حامد، موسوعة حياة موريتانيا، جزءا التاريخ السياسي والأيام العربية في موريتانيا، مركزنان، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط.
- Abdel Wedoud Ould Cheikh, Nomadisme, Islam et Pouvoir politique, op.cit., pp. 191 et suivants

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

كانت سابقا، فقد قلت إزعاجاتها لسكان بلاد الزنوج[13] حيث صارت عمليات النهب أندر من السابق.

ب) فئة الفارمين[14] وعبيد البلاط[15] وهؤلاء رعاة وغالبيتهم، فضلا عن ذلك، تجار مع أنهم يمارسون مهنة الزراعة.

ج) وأخيرا فئة الزوايا[16] (القبائل الدينية): وهم مسلمون كما أنهم رعاة، مزارعون وتجار. وهم مختصون في تعليم القرآن وتفسيره، وقلما يبتعون بمنأى عن شؤون السياسة، فغالبا ما يستدعون وسطاء في النزاعات بين الأمراء.

---

[13]) بلاد الزنوج: الاسم القديم للمنطقة السودانية (بلاد السودان) الواقعة بين الصحراء والنيل والمنطقة الغابية، والتي تقطنها مجموعات من الشعوب الزنجية. انظر:

Paul Robert, (sous la direction de), Le Petit Robert 2, Dictionnaire universel des noms propres-(dirigé) ..ic.po ,

[14]) الفارمون ويسمون أيضا "أزناكه": اشتقت تسمية هذه الفئة الاجتماعية من وضعيتها داخل البنية الهرمية البيضانية فهي بحكم تلك الوضعية والمكانة الاجتماعية تابعة لإحدى الأرستقراطيتين الحسانية أو الزناغية أو لهما معا.

أما تسمية أزناكة فكانت تطلق في الأصل على القبائل الصنهاجية وقد تكون تحريفا لصنهاجه. إلا أن هذه التسمية أصبحت مع مرور الزمن تطلق اصطلاحا على المجموعة الفارمة. وينحدر أفراد هذه الفئة من بعض المجموعات التي تعرضت الهزيمة على أيدي القبائل الأقوى فأصبحت أتباعا لتلك القبائل. يقول الرحالة مولين: "ما تزال توجد بين صفوف البيضان طبقة [فئة] تسمى الفابين منحدرة من بقايا أمم [قبائل] تم التغلب عليها". راجع:

Gaspard-Théodore Mollien, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique et aux sources du Sénégal et de la Gambie, fait en 1818 par ordre du Gouvernement français, Imprimerie de Madame Veuve Courcier, Paris, 1820, 2 volumes, VIII+331 319 p. i-i, pp. 14, 15.

وحول هذه الشريحة يمكن الرجوع إلى:

- يحيى بن البراء، "التابعية في الفقه المروزناني (وثيقة تأمل)"، *الوسيط، مجلة المعهد المروزناني للبحث العلمي*، العدد الثالث، نواكشوط، 1989، صص. 122-145.

- Abdel Wedoud Ould Cheikh, Nomadisme, Islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale., pp. 398 et suivantes.

[15]) عبيد البلاط: إشارة إلى مجموعة من العبيد لا تربط بينها أسرة جامعة من حيث النسب بقدر ما تشكلها الأدوار التي يمارسها أفرادها سياسيا وعسكريا داخل الإمارة بصفتهم مستشارين وحرسا خاصا ومؤتمنين لأسرار الأمراء وجباة للضرائب..إلخ.. وتصانف هذا النوع من عبيد البلاط خاصة في إمارة آدرار (عبيد آهل يحيى بن عثمان) وفي إمارة الترارزه (آهل خن).

[16]) الزوايا: مفردها زاو ويسمى أيضا المرابط وهي مجموعة من القبائل البيضانية تنحدر من أصول متعددة (عربية، صنهاجية)، وتشكل هذه القبائل الجناح المدني للأرستقراطية في المجتمع البيضاني. وهي تشرف على تحصيل ونشر المعارف العربية الإسلامية وممارسة التجارة

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وأكثر الزوايا نفوذا في البراكنة[17] هم: إدابلحسن[18] وأولاد ابيوري[19] وإجيجبه[20]، أما في الترارزه[21] فأدارملكور[22] وأولاد ديمان[23].

والتبعية. ومن النادر أن يحمل أفراد هذه الفئة السلاح أو يشاركوا في الحروب. ويطلق الفرنسيون على هذه الفئة تسميات متعددة من أهمها:

- الزوايا (Les marabouts)،
- القبائل الدينية (Les tribus religieuses).

المزيد من المعلومات حول مجموعة الزوايا يمكن الرجوع إلى:

- المختار بن حامد، موسوعة حياة موريتانيا، جزء الجغرافيا، مر. سا.، ص.ص. 41 وما بعدها.

- Abdel Wedoud Ould Cheikh, Nomadisme, Islam et Pouvoir politique., op.cit., pp. 374 et suivantes.

[17]) تسمية تطلق على مجال جغرافي وبشري سيطرت عليه ذرية بركني بن هداج منذ بداية القرن السابع عشر ويمتد هذا المجال الى الأجزاء الجنوبية من البلاد الموريتانية خاصة بمحافظة الترر، وهو يضم العديد من المجموعات السكانية البيضانية والسودانية التي تخضع للنفوذ المجموعة البركانية المتألفة جيناولوجيا، أساسا، من ثلاثة بطون كبرى هي: أولاد عبد الله وأولاد أحمد ولوتامه (البتاس). لمزيد من المعلومات تمكن مراجعة:

- Abdel Wedoud Ould Cheikh, "Nomadisme, Islam et Pouvoir politique dans la société maure précoloniale., op.cit., pp. 297-311;

- Paul, Marty, Etudes sur l'Islam et les tribus maures. Les Brakna, Paris, Editions Ernest Leroux, 1921, 398.

[18]) إحدى أهم قبائل الزوايا بالجنوب الغربي الموريتاني وخاصة في منطقة الترارزه. وتعتبر هذه القبيلة ممثلا من ممثلي الثقافة الإسلامية واللغة والأدب العربيين.

[19]) قبيلة ذات وزن بشري وثقافي واجتماعي كبير، وقد خولها ذلك الوزن أن تلعب أدوارا سياسية مهمة في المنطقة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

[20]) قبيلة زاوية تهتم أساسا في منطقة البراكنة. وفضلا عن دورها السياسي والعسكري، ضمنت هذه القبيلة بدور مهم في تاريخ البلاد الثقافي من خلال إشعاع محضرة "الكحلاء" و"الصفراء" المشهورة في القطر كله. انظر: الشيخ محمد الوالي، الموصوص من التاريخ الموريتاني (نديم الزوايا-أمير الوالي ناصر الدين-رسالة النصيحة)، تقديم وتحقيق محمدن ولد باباه، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، تونس، 1990، 224 ص.، ص. 97، الإحالة رقم 99 من عمل المحقق.

[21]) تطلق تسمية الترارزه على فضاء جغرافي وبشري بسطت عليه ذرية تروز بن هداج سلطتها الأميرية منذ القرن السابع عشر. ويمتد هذا الحيز الجغرافي الذي يعرف بمنطقة الترارزه بالجنوب الغربي من البلاد الموريتانية، ويضم هذا المجال العديد من المجموعات السكانية البيضانية والسودانية الخاضعة للنفوذ المجموعة التروزية المتكونة من التاسية الجيناولوجية، على العموم، من عدة قبائل هي: أولاد أحمد بن دامان وهم يحتكرون السلطة الأميرية وأولاد دامان وأولاد البوحليه ولعلب وعزونه. راجع:

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

[الانتجاع]

ينتجع الأمراء والفرسان غير الغارمين تارة في الصحراء وطورا على ضفتي النهر [يعني نهر السنغال]، وهم لا يرتبطون بالأرض إلا بقدرما يرتبط بها أمنهم الشخصي وما توفره من المراعي الضرورية لمواشيهم[24]. ومن ضمن هذه القبائل تمكن الإشارة إلى عزونه[25] وأولاد لخليفه[26] من المجموعة الترزوية[27] وهم

- Abdel Wedoud Ould Cheikh, "Nomadisme, Islam et Pouvoir politique...", op.cit., pp. 247-296;
- Paul Marty, L'Emirat des Trarza, Paris, Larose, 1919, 453 p.;

– محمد المختار ولد أحمد، "الإمارات والمجال الأموري البيضاني خلال القرنين 18 و 19 الميلاديين (إمارة الترارزه نموذجا)، *حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية*، جامعة نواكشوط العدد الثاني، 1990، ص.ص. 36-64.

[22]) نسبة دارمنكر لملكها زنوج النهر على قبيلة إدوالحاج البيضانية الزاوية المشار إليها في الإحالة رقم 43 من تحقيق هذا النص. وقد حرف الفرنسيون هذه التسمية إلى دارمنكور.

[23]) إحدى قبائل المجموعة الشنقيطية التي استقرت بالجنوب الغربي الموريتاني منذ القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. وقد اضطلعت هذه القبيلة بدور متميز في الحياة الثقافية والسياسية بتلك المنطقة.

[24]) لقد تفطن ابن خلدون، قبل الضابط كابي بأزيد من أربعة قرون، إلى هذه الوضعية، وذلك في حديثه عن "العرب ومن في معناهم"، حين أشار إلى أنهم يعيشون بلا "وطن يرتفقون منه ولا بلد يجنحون إليه لقسبة الأقطار والتوطن إليهم على السواء" (ابن خلدون، العبر، ج.2 ، ص.447 (نقلا عن محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط.4، 1984، 486 ص.، ص. 220). ولما كان هذا الوصف منطبقا على سكان الصحاري والقفار والبادية القبلية العصب بشكل عام، فإنه يصدق أكثر على البداة الظاعنين في صحراء المشهين الجدباء، فتنقلاتهم الدائمة المتواصلة بحثا عن أرزاق جعلتهم لا يعرفون الاستقرار والتوطن، وبالتالي "فلا يربط بينهم حقل أو مزرعة، ولا جبل أو واد. والرابطة الوحيدة التي تشد أفرادا منهم إلى آخرين، وتميز جماعات منهم عن أخرى، هي الرابطة الطبيعية، رابطة الدم [التشديد منا] التي تبقى لديهم واضحة لصفاء وأصالة أنسابهم نتيجة تزوجهم في القفر وعدم اختلاطهم مع غيرهم" (محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، مرجع سابق، ص.220.). فحيثما نزل المطر ونبت العشب وتوفرت الطرائد، كان ذلك مجالا لهم دون أي اعتبار للمجال أو للحدود طبيعية كانت أم مصطنعة.

[25]) إحدى قبائل بني حسان، وهم ذرية أعلي بن ترروز ومنهم أولاد بابوك وأولاد لكشار (في الجنوب).

[26]) أحد بطون قبائل أولاد رزك التي سيطرت على المنطقة في الفترة الممتدة تقريبا من القرن التاسع إلى منتصف القرن الحادي عشر الهجريين.

[27] نسبة إلى ترروز بن هداج جد قبائل الترارزه المشار إليها في الإحالة رقم21 من تحقيق هذه الوثيقة.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

يقطنون الضفة اليسرى [النهر السنغال] في والو[28] ولا يعبرون إلى الضفة اليمنى أو يتوغلون داخل الصحراء إلا مسافة 10 إلى 12 ميلا خلال شهر أغسطس/آب ليحتموا، هم وأطعامهم، من أسراب البعوض والذباب، وهي حشرات مؤذية إلى حد بعيد ولا تختفي إلا في شهر نونبر/كانون الأول، وقت عودة هذه القبائل إلى [منطقة] والو.

[تقديرات السكان]

ليس من السهل تحديد رقم دقيق لعدد السكان في هذه الأصقاع التي لا توجد بها إدارة منتظمة، ومن ثم، لا يمكن القيام بأي تعداد فيها. فليس أمامنا، بهذا الخصوص، إلا مجرد التخمين.

ويفترض أن عدد سكان البراكنه والترارزه في الوقت الراهن (1843) هو كما يلي :

أ) الترارزه:

- القبائل ذات الشوكة 25.000 نسمة من بينها 6.000 مقاتل
- القبائل الزاوية: 30.000 نسمة
المجموع: 55.000 نسمة

ب) البراكنه:

- القبائل ذات الشوكة: 23.000 نسمة من بينها 5.000 مقاتل
- القبائل الزاوية: 40.000 نسمة
المجموع: 63.000 نسمة.

[التجارة ومحطات التبادل]

إن منتجع الملح المهمة التي يمتلكها بيضان المناطق الداخلية توفر لهم سلعة يبادلونها بالذهب والقماش القطني المستورد من كارطه[29] وحتى من تنبكتو[30]، وذلك

---

[28]) والو (Walo): تسمية تطلق أصلا باللغة الولفية على السهل الفيضي الممتد على ضفتي نهر السنغال. ومع أن هذه التسمية تشمل كل المنطقة التي تغمرها فيضانات النهر سنويا، إلا أن الاستعمال المحلي محضها الضفة اليسرى السنغالية، بينما أخذت تسمية "تشمامه" تلتصق بمنطقة الضفة اليمنى الموريتانية.

[29]) كارطه (Gadaga): منطقة جغرافية تقع في شمال جمهورية مالي، عاصمتها مدينة نيورو الحالية.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

هو مصدر تجارتهم النشطة مع مركز باكل[31] ومع محطاتنا التجارية في أسفل النهر وخاصة مع سين-لوي[32]32). ويجلب بيضان وادي نون كذلك إلى محاطاتنا الذهب وريش النعام والتمور.

ويجني أولاد امبارك[33] الصمغ العربي، كما أن لديهم جلود البقر والذهب، غير أن حروبهم المتواصلة مع إدوعيش[34] منعت دائما قوافلهم التجارية [يعني أولاد

---

[30]) مدينة سودانية تقع في جمهورية مالي على منحنى نهر النيجر. تأسست، على ما يبدو، في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فاكتسبت بسرعة أهمية اقتصادية كبيرة بصفتها منطقا القوافل التجارية التي تربط بين السودان والمغرب العربي. وقد مثلت هذه المدينة خلال العهود الحديثة أسطورة في خيال الأوربيين -البريطانيين والفرنسيين خاصة- الذين تسابقوا الوصول إليها والاطلاع على ما تخفيه من أسرار. وفي هذا النطاق رصدت جوائز مالية كبيرة لأول أوربي يصل المدينة ويعود منها بجملة من المعلومات تهم الأوربيين وتلها. وكانت تلك الجوائز من نصيب الرحالة الفرنسي رنى كايي (René Caillié) الذي وصل تمبكتو يوم 20 إبريل/نيسان 1828 ليلاحظ حالة الكساد الاقتصادي التي تتخبط فيها المدينة. وقد استولى الفرنسيون على تمبكتو في ديسمبر/كانون الأول 1893، راجع:

- René Caillié, Voyage Tombouctou, op.cit., t.2, pp. 211 et suivantes.
- Félix Dubois, Tombouctou, la mystérieuse, Paris, Flammarion, 1897.

[31]) باكل (Bakel): مركز عسكري وإداري وتجاري أسسه الفرنسيون بالسنغال سنة 1818 على ضفة نهر السنغال في منطقة كيديماغه الحالية. وقد أصبح باكل ابتداء من سنة 1821 مركز القبائل الرئيسي مع مجموعة إدوعيش البيضانية.

[32]) سين-لوي (Saint-Louis): أول مركز أسسه الفرنسيون في حدود سنة 1638، وهو يقع في شبه جزيرة بمصب نهر السنغال. وقد تمكن الإنجليز -في نطاق صراعاتهم بالمنطقة مع الفرنسيين- من انتزاع هذا المركز مرتين في منتصف القرن الثامن عشر وفي نهايته قبل أن يستعيده الفرنسيون منهم آخر مرة في يناير/كانون الثاني سنة 1817. وأثناء ولاية الجنرال فيدرب (Faidherbe) جعل مركز سين-لوي عاصمة لمستعمرة السنغال قبل أن يتم تحويلها إلى داكار سنة 1903. وقد بقي الفرنسيون يديرون الشؤون الموريتانية من سين-لوي حتى استقلال موريتانيا. وسين-لوي الآن إحدى أهم المدن السنغالية.

[33]) لعل فروع القبائل المغاربة، وينسبون إلى امبارك بن محمد بن عثمان بن منقر بن أودي بن حسان. وبينما يرى بعض الدارسين أنهم أسسوا، بالحوض، خلال الفترة الممتدة من 1712 إلى 1841، إمارة لا تختلف عن الإمارات البيضانية الأخرى، يكتفي آخرون بأنهم كانوا يشكلون مجرد مشيخات ورئاسات في تلك المنطقة، بسطت -أحيانا- نفوذها على بعض المناطق المجاورة، راجع بهذا الشأن:

- صالح بن عبد الوهاب، الصورة البيضانية في معرفة الأنساب الحسانية، مخطوط، سابق.
- محمد فال بن بابه، كتاب التكملة في تاريخ إمارتي البراكنه والترارزه، مصدر

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

امبارك] من إيصال منتوجاتهم إلى محطة باكل، فكانوا يتوقفون عند مركز مدينه[35] التجاري قرب كينيوك[36]. إن هؤلاء البيضان هم الذين حاولوا، ذات يوم، أثناء إخلاء هذا المركز، (من 1834 إلى 1840) حمل سمغهم إلى الإنجليز في غامبيا عبر خاصو[37] وبوندو[38]. غير أنهم لم يجنوا من هذه المحاولة سوى خسارة مواشيهم فضلا عن إرغامهم على دفع ضريبة في كل مكان يمرون به حتى أصبحوا أبعد ما يكونون من التفكير في تكرار تلك المحاولة. ويضيف إدوعيش إلى هذه المنتوجات العاج كما يبيعون سنويا في مركز باكل ما يتراوح معدله بين 4000 و 5000 [لطه يقصد كلغ] من الصمغ العربي.

- الغالي بن الحسين، "إمارة أولاد امبارك في الحوض (1712-1841)"، مذكرة تخرج للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة نواكشوط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1986.

- Mungo Park, Voyage dans l'intérieur de l'Afrique, Paris, Maspéro, 1980, 355 p.

[34]) مجموعة قبلية يربطها النسابون بأصل صنهاجي، تكاد تكون الوحيدة التي تمكنت من تأسيس إمارة بيضانية غير مغاربية بمنطقة تكانت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. ويقسم إدوعيش جوانوجوا إلى بطون كبرى من أهمها: أبكاك وأشراتيت. للمزيد من التفاصيل، راجع:

-بابه بن الشيخ سيدي، إمارة إدوعيش ومشظوفه، دراسة وتحقيق إزيد بيه بن محمد محمود، نواكشوط، 1992، 292 ص.

- Abdel Wedoud Ould Cheikh, "Nomadisme, Islam et Pouvoir politique...", op.cit., pp. 327-339

- Pierre Amilhat, "Petite chronique des Idaoulich, héritiers guerriers des Almoravides sahariens", Paris, Revue des Etudes islamiques, n°1, 1937, pp. 41-130.

[35]) مدينه (Médina): قرية بجمهورية مالي تقع على مقربة من مدينة خاي المالية. وكانت هذه القرية مركزا عسكريا أثناء القرن التاسع عشر، وفي هذه القرية فرض جنرد الحاج عمر الفوتي، سنة 1857، حصارا على فرقة فرنسية دام عدة أشهر، وتطلب فكه تدخل الجنرال فدرب الوالي الفرنسي على السنغال.

[36]) كينيوك (Caiguenick): لم نتمكن حتى الآن من الحصول على معلومات إضافية بشأن هذا المركز.لعل الأمر يتعلق بمركز كاي(Cagny) الواقع إلى الشمال الغربي من مدينة خاي المالية المشار إليها في الإحالة رقم 27 من تقديم هذا النص، ص:62. راجع:

Paul Pellet, Atlas des Colonies Françaises dressé par ordre du Ministère des Colonies, Paris, 1902, 27 planches de cartes avec textes explicatifs (72 + 26 pp) et index.

[37]) خاصو (Kasson): تسمية قديمة تطلق على أقوام من الزنوج يقطنون بأعالي نهر السنغال في منطقة تسمى أيضا بهذا الاسم.

[38]) بوندو (Bondou): منطقة سودانية تقع بين نهري السنغال والزمبجر وتحدها منطقة فوتا تورو من الجنوب ومنطقة بامبوك من الشرق وكيديماغه من الشمال ونهر غامبيا من الغرب.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وبقدرما نهبط مع النهر، تتسع التجارة والمعاملات مع السنغال[39] وكذلك حبوبية. وفضلا عن الجلود التي تباع بكميات كبيرة في السنغال فإن تجارة الصمغ العربي تمثل فرعا تجاريا، يستغل بطريقة خاصة، ونشاط متسع جدا في محطات البراكنه[40] والكرارزه[41] ودارملكور[42]، ولقد فقدت هذه المحطة الأخيرة، التابعة لإدولحاج[43] أو دارملكور، بعض أهميتها منذ سنة 1836، وهو التاريخ الذي حصل

[39]) كثيرا ما كانت بعض أدبيات الفترة تطلق تسمية السنغال للدلالة على فرنسا أو على الفرنسيين في السنغال.

[40]) محطة البراكنه: وتسمى في الأدبيات الفرنسية أحيانا تر بى روج (Trarza Rouge) هي إحدى أهم المحطات التجارية بمنطقة النهر، إذ يتحدث عنها كلود جاكين (Claude Jacquin) الذي زار المنطقة في نهاية العقد الرابع من القرن السابع عشر. وكانت تستخدم مركزا للتبادل التجاري مع بيضان البراكنه. ويعتقد أن أطلال هذه المحطة توجد على بعد بضع عشرات من الكيلومترات -نحو هاوية النهر- من محطة ودور. راجع:

Adama Gaokoune, "La politique française sur la rive droite du Sénégal: Le Pays Maure 1817-1903", thèse pour l'obtention de doctorat de 3ème cycle, Université Paris I Sorbonne, 1986-1987, 294 p., p. 66, note n°53

[41]) محطة الكرارزه ويسميها الفرنسيون كذلك محطة لو دزير (Le Désert): هي محطة تجارية تقع على الضفة اليمنى للنهر على بعد حوالي 10 كلم شمال غربي مدينة روصو عاصمة ولاية الكرارزه الحالية، وكان بيضان الكرارزه يستخدمونها مركزا للتبادل السلوي مع التجار الفرنسيين بالسنغال. ولقد ظهرت تسمية هذه المحطة في الكتابات الفرنسية عن المنطقة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر. وما زالت أطلال هذه المحطة التي تسمى محليا "تكشكمبه" قائمة إلى الآن. راجع:

Pierre David, Journal d'un voyage fait en Barbarie en 1744, publié par André Delcourt, Société Française d'Histoire d'Outre- Mer, Paris, 1974, 303 p., pp. 229-230.

[42]) محطة دارملكور (Escale de Darmancour): مرسى تجاري على ضفة النهر خاص بقبيلة إدولحاج الزاوية، وهو يبعد حوالي 100 كلم إلى الشمال من مركز مين-لوي.

[43]) إحدى قبائل الزوايا المهمة، كان لها تأثير كبير في المنطقة قبيل وأثناء القرن التاسع عشر، إذ أقامت مبكرا علاقات تجارية مع الفرنسيين المتمركزين في السنغال ولعبت دورا كبيرا في التبادل التجاري معهم مساهمة في خفارة السفن وتأمين المبادلات، ومقابل ذلك قدم لها التجار والولاة الفرنسيون بشكل مستمر نصيبها من الضرائب العرفية. راجع:

- Anne Raffenel, Nouveau voyage dans le pays des nègres, Paris, Imprimerie et librairie centrales des chemins de fer, 1856, 2 volumes, 512 et 456 p., p. 84.

- André Delcourt, La France et les établissements français au Sénégal entre 1713 et 1763, mémoire de l'IFAN, n°17, Dakar, 1952, 432 p., p. 229.

- Mohamed Said Ould Ahmedou, "Le Trarza et ses relations commerciales avec la 1858-1904", mémoire de maîtrise, Université de Dakar, 1984-1985.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

فيه التزارزه من الحكومة الفرنسية على [إثر] بتحويل محطة كايه[44] إلى "لاورت"[45] (Laewouart). وكان هدف أمير التزارزه[46] من هذا التغيير هو القضاء على المحطة التجارية التابعة لهؤلاء الزوايا[47] [إدواجاج]. وقد حاول [أمير التزارزه] منذ بضع سنوات توجيه ضربة مماثلة إلى محطة البراكنه حينما طالب بإنشاء محطة جديدة في كايه[48].

إن معدل الانتاج السنوي لهذه المبادلات يصل إلى:

- من 1.500.000 إلى 2.000.000 ليبره[49] من الصمغ (في محطة البراكنه.
- من 1.200.000 إلى 1.500.000 ليبره (في محطة التزارزه)
- من 300.000 إلى 500.000 ليبره (في محطة دارمنكور)
- من 3.000.000 إلى 4.000.000 ليبره (المتوسط السنوي للصمغ المتداول بهذه المحطات).

[الثروة الحيوانية]

---

[44]) كايه (Gaé) : وتسمى أيضا الدويرة: قرية ومركز تجاري يقع في منتصف المسافة بين بتلل وبكاته على بعد 8 كلم شمال شرقي بكاته وحوالي 60 كلم من بوتلمي.

[45]) لعل الأمر تحريف لتسمية "لواغ"، وهي من التسميات المحلية لمركز "كراك" إحدى محطات التزارزه النهرية، وتبعد حوالي 6 كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة روصو.

[46]) هذا الأمير هو محمد الحبيب بن أحمر بن المختار، وقد تولى إمارة التزارزه من سنة 1829 إلى 1860، وهو يعتبر أعظم أمراء التزارزه إن لم يكن أعظم أمراء البلاد الموريتانية، فقد عرفت الإمارة في عهده توسعا مهما، إذ قارم التوغل الفرنسي بالمنطقة فارضا نفوذا قويا على منطقة حوض النهر بما فيها الضفة اليسرى، هزمه لدرب سنة 1858 بعد حرب استمرت أربع سنوات تصارع فيها مع الفرنسيين حتى النفوذ إلى المنطقة، فارغم على توقيع اتفاقية 20 مايو/أيار 1858 التي تعترف بالسيطرة الفرنسية على المنطقة.

[47]) يشير كاي هنا إلى أن نقل أمير التزارزه محمد الحبيب بن أحمر بن المختار لمحطة التزارزه من "كايه" إلى "لواغ" ربما يشكل تحجيما لمحطة إدواجاج، غير أن هذا الأمير ما لبث أن أدرك ضرورة العودة إلى محطة "كايه" وذلك الحد من شأن محطة البراكنه.

[48]) نذكر في هذا المقام بأن عهد الأمير التزوزي محمد الحبيب (1829-1860) امتاز بالنقل مستمر لمراكز التبادل التجاري التابعة للتزارزه في منطقة النهر بموجب طلبات متواصلة من ذلك الأمير وطبقا لمؤشر علاقاته مع الفرنسيين والبراكنه وإدواجاج.

[49]) ليبره 500 :(Livre) غرام.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

تنتشر بصفة عامة في الضفة اليمنى للنهر قطعان كثيرة من الخيل والجمال والحمير وثيران الحمل والأبقار المستخدمة في التغذية والضأن والماعز. ويكثر فخر البيضان في امتلاك هذه القطعان الهائلة، ومنها تتشكل ثرواتهم.

[العادات الغذائية]

إن البيضان الذين يقطنون الصحراء والذين لا ينزلون ضفاف النهر إلا في حالة الضرورة القصوى يتغذون بالحليب واللديد. وقد بدأ ملاك العبيد جناة الصمغ منذ بضع سنوات فقط يستهلكون الدخن والذرة البيضاء على نطاق واسع. كما أصبحوا يطعمون عبيدهم من هذه الحبوب بعد أن كانوا، في السابق، يطعمونهم صمغا[50]. أما البيضان الذين يضربون أطنابهم على ضفاف النهر، أثناء فترة الجفاف، فيستهلكون هذه الحبوب بكثرة.

[الحياة الثقافية]

تعتبر العربية اللغة الأكثر انتشارا، ولا يكاد يعرفها ويتقن كتابتها سوى الزوايا[51]، ومع ذلك فإن تعلمهم كثيرا ما يقتصر على معرفة القرآن. ويتكلم الأمراء اللغة العربية بطلاقة تقريبا. أما الغارمون فلديهم لهجة خاصة بهم[52]. وبصفة عامة،

---

[50] إن ما نتوفر عليه حاليا من معلومات لا يخولنا تأكيد استخدام البيضان للصمغ غذاء رغم أن بعض الرحالين والمستكشفين الفرنسيين أشاروا -مثل ما فعل كاي- إلى أن البيضان كانوا يطعمون عبيدهم الصمغ. فالشائع عند القوم استخدام الصمغ بضاعة تجارية بدرجة أولى ومادة علاجية بدرجة ثانوية.

[51] إن القول بأن اللغة العربية، وهي لغة حسان الأم: "لا يكاد يعرفها ويتقن كتابتها سوى الزوايا" لا يخلو، حسب اعتقادنا، من مبالغة، خاصة إذا تعلق الأمر بمعرفة هذه اللغة لا بكتابتها. ومما يدعم تحفظنا على هذا الجزم التناقض الذي وقع فيه المقدم كاي حين يصرح في الجملة الموالية قائلا: "ويتكلم الأمراء اللغة العربية بطلاقة تقريبا". فظاهرة العربية "لا يكاد يعرفها ويتقن كتابتها سوى الزوايا"[1] و"الأمراء يتكلمون اللغة العربية بطلاقة تقريبا"[2] جملتان تحملان بعض التناقض رغم استخدام كاي لعبارتي "لا يكاد" في الجملة الأولى و"بطلاقة تقريبا" في الجملة الثانية.

[52] لا نعتقد أن لغة الغارمين في المجتمع البيضاني أثناء القرن التاسع عشر كانت لها لغتها الخاصة بها، إذ أن اللغة الصنهاجية التي كانت موجودة، بشكل محدود، إلى جانب اللغة العربية، كانت سائدة، أساسا، في صفوف بعض المجموعات الزاوية.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

لكن جميع هؤلاء الملوك، أمراء و خارجون و أتباعا، أصبحوا يعيشون في جهالة مطبقة[9]. ويعتبر الإسلام الديانة المنتشرة في كل مكان تقريبا.

[الطبقة السفلى]

يمتاز البمبارا الذين يكونهم أكثر وداعة وأقل تشددا وتصردا من الخرزة الذين لم يكن باستطاعة أميرهم الاستجابة لحاجياته وحاجيات أتباعه لو لا الإتاوات التي تقدمها إليه الحكومة الفرنسية سنويا وتلك التي يدفعها إليه التجار [الفرنسيون] إذ يحرم نفسه من كل شيء، ومع أنه لا يتوفر على دخل شخصي، فهو لا يستطيع الاحتفاظ بالعرش ما لم يوزع هبات سخية. لذلك فإن أي حادث مهما بدا هامشيا الأهمية السياسية، مثل توقيف التجارة مع السنغال أثناء موسم التبادل، أو حصار رديء، قد يكلف التفكير لسلطة الأمير وحزله[10] من قبل هذا الشعب المتطلب المطماع [11] الذي لم يعد باستطاعة الأمير المعني منحه أي شيء.

[9]) لا يخلو هذا الحكم من مبالغة، فرغم صعود الأمراء والخارجين والأتباع عن العلم والمشاهير عن المعلم، فإن من بينهم (خاصة من الأمراء) من أخذ نصيبا من العلم، ولهذا فإن جزم المقدم كاي بأنهم "جميعا أميون يعيشون في جهالة مطبقة" غير صحيح إطلاقا.

[10] مشارب حربية كان الفرنسيون يمنحونها لزعماء المحليين مقابل تسهيل المبادلات التجارية وتأمينها في المنطقة. وتشمل هذه المشارب الحربية في مثل هذه مختلفة يأتي في مقدمتها القماش الهندي الأزرق (les Guinée) والأسلحة (البارود والبنادق). ويعود الفضل لهذه المشارب الحربية في المنطقة إلى وقت مبكر من المعاملات مع الأوربيين إذ يشير كاود جاكمان الذي زار مملكة بودور (Kingdom of Bodum) سنة 1638 إلى ذلك المشرب. راجع:

(Claude Jacquelin, Le voyage de Libye du Sénégal, Ivoire, Abidjan, 1980, 221p., p. 60)

[11] يبالغ مقدم مشاة البحرية كاي كثيرا بشأن سهولة التأثير لسلطة أمراء البمبارا وحزلهم، الذي أعطانا مثالا لا حصرا الأمير الخرزي محمد الحبيب الذي كتبت "ملاحظاته" كاي إبان إقراء حكمه نجد أن هذا الأمير صمد أمام هزات داخلية وخارجية عنيفة، إذ تصارع مع أبناء عمومته ومع الإمارات المجاورة (البرنكنه وأدرار)، كما شاطأ حروبا متعددة ضد الفرنسيين في السنغال انتصرت، عدة مرات، على توقيف المبادلات التجارية مع الفرنسيين في السنغال، هذا التوقيف الذي زعم المقدم كاي أنه "يكلف التفكير لسلطة الأمير وحزله"، ألفى جهد هذا الأمير توقيف التبادل التجاري مع الفرنسيين في السنغال إثر احتلال جاك مالبلوا (Jacques Malavois) وهو أحد تجار سين-لوي المرتدين، وذلك في شهر يوليوز/تموز 1831. وتوقف مرة أخرى إبان "حرب زواج" محمد الحبيب مع وصية عرش والد الأميرة "جنيت" (1833 - 1835)، كما توقف مرة ثالثة أثناء "حرب تدوير شروط التبادل" التي تصارع فيها محمد الحبيب مع فندرب بين سنتي 1854 و 1858. ورغم ما رافق هذه الحروب من حصار اقتصادي وعسكري فرضه الفرنسيون على الخرزة، فإنها لم تكن تكلف "التفكير لسلطة الأمير وحزله"، إذ استطاع هذا الأمير أن يحافظ بكرسي الإمارة لمدة تزيد على ثلاثين سنة (1829 - 1860).

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

إن قبائل القرارزه هي الأقرب [جغرافيا] للسنغال، وفي الوقت نفسه الأكثر هيجانا في منطقة النهر. غير أنه من الجدير بالملاحظة أنها أصبحت أقل تمردا منذ مقتل المختار بن اعلي الكوري[36] الذي تمت محاكمته وإعدامه في 19 ديسمبر/كانون الأول 1832، وهو إجراء ردعي كان لا بد منه لتخويف كل من تسول له نفسه تقليد هذا الأمير. وبالفعل، فمنذ ذلك الحين توقف النجم الوالح [؟]

---

[36]) يتعلق الأمر بالمختار بن محمد بن اعلي الكوري (1811-1832). ولقد تصادفت بداية مواجهته مع الحراج الكبير في إمارة القرارزه بين أنصار أبيه محمد بن اعلي الكوري المطالب بعرش الإمارة بوصفه الوريث الشرعي وبين شقيق الأمير أصغر بن المختار. ولقد تم اغتيال والده محمد بن اعلي الكوري في نهاية سنة 1826 ولما يتجاوز الخامسة عشرة من العمر، فاصطدر تركة أبيه الثقيلة المتمثلة في الكفاح من أجل استعادة الإمارة من أيدي عمومته. ولقد قام إلى جانبه ملك والو والفرنسيون في السنغال لمساعدته ونصبوه "أميرا" اعترافا بالخدمات التي قدمها لهم والده. غير أن متغيرات عدة عرقلتها لمنطقة لم تكن في صالح هذا الأمير الشاب، فقد انهزم حلفاؤه في والو وأدرك الفرنسيون أن سلطة مناقسه أصغر بن المختار آخذة في التوسع، لذلك سعوا إلى مد جسور الاتصال مع هذا الأخير الذي خلفه ابنه محمد الحبيب سنة 1829. ولقد قبل المختار بن محمد بن اعلي الكوري زعامة ابن عمه محمد الحبيب وتعهد بعدم المطالبة بالإمارة طيلة حياته لأنه أكبر منه سنا. وبالمقابل سمح محمد الحبيب للمختار بأخذ الثأر من قتلة أبيه. ولم تكد علاقات المختار بن محمد بن اعلي الكوري مع الأمير محمد الحبيب تأخذ طابعا اعتياديا حتى وجه إليه الاتهام بالمشاركة في كل جلسات المتمردين من أهل والو، إلى درجة التحريض على القرارزه، وهي الحرب التي استمرت حتى 24 أغسطس/آب 1831 عندما وقع محمد الحبيب اتفاقية سلام مع الوالي الفرنسي كيرنل (Kernel) الذي يقضي بتخلي المتمردين بالكامل عن القرارزه. ولم يكن المختار بن محمد بن اعلي الكوري يقظا عندما توجه إلى سين-لوي للتفاوض بخصوص ضرائبه العرفية المعتادة منذ مقتل مانيفوا، إذ أنه مكن الفرنسيين من القبض عليه ومحاكمته وإعدامه في 19 ديسمبر/كانون الأول 1832. ولقد انتشر نبأ إعدامه -وخلافا لما يذهب إليه المقدم كاي - بدلت أصداء عدائية لا متناهية ضد الفرنسيين في السنغال، فأطلق الأمير محمد الحبيب الطليعة معهم والحرب عليهم ثأرا لابن عمه. "وسرعان ما أصبحت سين-لوي محرومة من كل التموينات التي تحصل عليها من والو. وأضحى لزاما عليها أن تتذكر من الأبجدية الزرع والقطن اللذين لم يعد بالإمكان الحصول عليهما من بلاد مجتاح بكاملها، وأصبحت غارات وهجمات البيضان أكثر تطرفا وجرأة، وغدت المستعمرة محاصرة في سين-لوي، وكرس محمد الحبيب انتقال عصابات [؟] الوالو بزواجه من وصية عرش ذلك البلد..." راجع:

La Journal du Havre, du 26 août 1834.

نقلا عن: محمد المختار ولد السعد، "العلاقات الفرنسية الإفريقية في عهد الاستعمار الزراعي (1818-1831) من خلال رواية ارنست بريفي"، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولود معمري، العدد الخامس، تيزي وزو، 1996، ص ص.64-85، ص ص.82-84، الإحالة رقم 40.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

للأمراء الذين خفت خطرستهم [؟!] أيضا جراء الهزائم التي منوا بها أثناء الحرب[57] التي بدأت في 25 يوليو/تموز 1833 وانتهت في 30 أغسطس/آب سنة 1835.

[57] تسمى هذه الحرب "حرب زواج محمد الحبيب "مع "جنيت" لميرة وإلو. التي تطابق التحالفات التي تتعقد وتنهار بالمنطقة، اتفق الأمير الزرزوي محمد الحبيب مع طائفة من زعماء وإلو على عقد زواج بينه وبين ولية عرش ذلك البلد، ورغم معارضة الفرنسيين القوية لهذا الزواج فقد تم بالفعل في 18 يوليو/تموز 1833. وقد اعتبر سين جرمين (Saint Germain) الوالي الفرنسي على السنغال هذا الزفاف "حدثا ستكون له نتائج جد خطيرة لأنه سيمكن يوما ما من تتويج أحد ملوك البيضان ملكا شرعيا لوالو [التشديد منا]، ذلك التتويج القائم الآن عمليا، كما سيؤدي إلى تخريب القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها المستعمرة، تلك القاعدة المتمثلة في حياد الضفة اليسرى خلال صراعاتنا مع البيضان". انظر:

ANS, Série G, 9 G 1: Correspondances du roi des Trarza, op.cit.

وعندما عجز هذا الوالي عن إقناع وجهاء وإلو بفسخ هذا الزواج أعلن الحرب على وإلو والتزارزه معا ابتداء من 21 يوليو/تموز 1833 (وليس في 25 من هذا الشهر كما يقول كاي). وقام الوالي الفرنسي بحرق القرى في الضفة اليسرى وتعطيل التبادل في المنطقة، غير أن كل ذلك لم يحسم الصراع لصالح فرنسا التي اضطرت إلى الاستنجاد بفرقة عسكرية جديدة بقيادة النقيب كرنيل دونما جدوى، مما أرغم الوالي الجديد بوجول (Pujol) على تجميد الحملة مؤقتا في مايو/أيار 1834 مكتفيا بفرض حصار اقتصادي وعسكري على التزارزه في محاولة لمنعهم من التبادل مع الإنجليز بالساحل الأطلسي. غير أن بوجول لم ينجح، هو الآخر، في توجيه الضربة القاضية إلى التزارزه، إذ استمرت الحرب وتقلصت الأوضاع في المنطقة لغاية 30 أغسطس/آب 1835 حين قبل الأمير محمد الحبيب التنازل عن المطالبة بعرش وإلو لنفسه أو لمن يخلفه. للمزيد من المعلومات عن هذه الحرب يمكن الرجوع إلى:

Monsenu, "Mémoire inédit de Monsenu...", op.cit.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner